محاولات اغتيال اليهود

للرسول ﷺ

المؤلف

محمد بيومى

مكتبة الإيمان

المنصورة

ت ٢٢٥٧٨٨٢



محاولـة اغتيال اليهـود

للرســول ﷺ

كان اليهود فى زمان الرسول ﷺ ينتظرون بعثته لكى يؤمنوا به ويتبعوه ، وكانوا يقولون لمشركى العرب: سيأتى نبى آخر الزمان وسنكون نصراءه عليكم، وسنتبع ملته ، وسنكون أول المسلمين المؤمنين به ، وسوف نقاتلكم معه وننتصر عليكم .. قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ . [سورة البقرة : ٨٩]

وكان اليهود يتمنون أن يكون الرسول ﷺ من ولد إسحاق فلما بعثه الله من ولد إسماعيل كفروا به وجحدوه .

وعقد اليهود العزم على قتل الرسول ﷺ ، وخططوا لذلك بدقة ونفذوا جريمتهم البشعة بأن وضعوا السم للرسول ﷺ فى شاة أهدوها له ﷺ ، ولكن الله تعالى أنقذه منهم ، وإن كان السم قد أثر فى جسد النبى ﷺ حتى وفاته ﷺ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبى ﷺ شاة فيها سم فقال النبى ﷺ : ((اجمعوا لى من كان ها هنا من اليهود)) فجمعوا له فقال: ((إنى سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقى عنه ؟)) فقالوا: نعم فقال لهم النبى ﷺ : ((من أبوكم ؟)) قالوا: فلان ، فقال: ((كذبتم ، بل أبوكم فلان)) قالوا: صدقت ، قال: ((فهل أنتم صادقى عن شئ إن سألت عنه ؟)) فقالوا: نعم يا أبا القاسم ،

إن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا ، فقال لهم: ((من أهل النار؟)) **قالوا: نكون فيها يسيرا ، ثم تخلفونا فيها، فقال رسول الله ﷺ :** ((اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدا)) **ثم قال:** ((هل أنتم صادقى عن شئ إن سألتكم عنه ؟)) **قالوا: نعم يا أبا القاسم قال:** ((هل جعلتم فى هذه الشاة سما ؟)) **قالوا: نعم ، قال:** ((ما حملكم على هذا ؟)) **قالوا: إن كنت كاذبا نستريح ، وإن كنت نبيا لم يضرك .** (رواه البخارى)

يبين هذا الحوار أن اليهود قوم ديدنهم الكذب والخداع فها هم يكذبون على النبى ﷺ ، فلما فضحهم رسول الله ﷺ وبين كذبهم قالوا نصدق فى المرة الثانية حتى لا يفتضح أمرنا مرة أخرى ولكن القوم أجابوا عن سؤال الرسول ﷺ الثانى بصلف ووقاحة ، حيث زعموا أنهم لا يمكثون فى النار إلا قليلا ، وهذا الزعم منهم قد أبطله الله عز وجـل

فـى قولـه: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ . [البقرة: ٨٠]

قال ابن كثير - رحمه الله -: **يقول الله تعالى إخبارا عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا﴾ أى بذلك فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ولكن هذا ما جرى ولا كان ولهذا أتى (بأم) التى بمعنى (بل) تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه .** (تفسير ابن كثير ١١٨/١)

وأما سبب زعم اليهود أنهم لا يمكثون فى النار إلا أياما معدودات فقد قال ابن عباس وقتادة: إن اليهود قالوا لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة وهى مدة عبادتهم العجل .

(تفسير ابن كثير ١١٨/١)

والعجيب فى أمر اليهود أنهم لم يكتفوا بهذا الزعم الكاذب بل أتبعوه بقولهم عن المؤمنين إنهم سيخلفونهم فى النار !! فردَّ عليهم النبى ﷺ بقوله: ((اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبداً)) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: **قوله ((اخسئوا فيها)) هو زجر لهم بالطرد والإبعاد، أو دعاء عليهم بذلك .**

قوله ((والله لا نخلفكم فيها أبداً)) أى لا تخرجون منها ولا نقيم بعدكم فيها لأن من يدخل النار من عصاة المسلمين يخرج منها فلا يتصور أنه يخلف غيره أصلا .

(فتح البارى ٢٧٥/١٠)

ثم بعد أن بين لهم النبى ﷺ كذبهم وفساد اعتقادهم وصل معهم فى الحوار إلى الجريمة الكبرى التى ارتكبوها وهى محاولة قتله ﷺ بدسهم السم له فى الشاة. والواضح من حوار الرسول ﷺ لهم أن اليهود كانوا قد أعدوا الخطة لقتل النبى ﷺ وأعدوا لذلك أيضاً جوابا يجيبون به النبى ﷺ إذا نجاه الله من كيدهم . فقالوا فى وقاحة وتبجح لما سألهم النبى ﷺ : ((ما حملكم على ذلك)) قالوا: إن كنت كاذبا نستريح وإن كنت نبيا لم يضرك !! وهذه الإجابة منهم تحمل كثيرا من الخبث واللؤم ، فهل كان اليهود يريدون إظهار نبوة النبى ﷺ عن طريق حفظ الله له أم كانوا يريدون قتله وهم يعلمون سلفا أنه الرسول الخاتم ﷺ ؟ ولكن الله عز وجل قد أبطل مكرهم وكيدهم . ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ . [فاطر: ٤٣]

وهذا السم الذى وضعه اليهود للرسول ﷺ كان شديدا بحيث أنه أثَّر فى بدن النبى ﷺ إلى يوم وفاته ، فقد قال ﷺ لعائشة رضى الله عنها فى مرض موته: ((يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى [1] من ذلك السم))

(رواه البخارى تعليقاً ووصله الحاكم والبيهقى فى الدلائل)

وكان بشر بن البراء قد أكل مع النبى ﷺ من الشاه المسمومة ولكنه مات من شدة تأثير السم .

---

(1) الأبهر : عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه .

وكان ابن مسعود وغيره يقولون: إنه ﷺ مات شهيداً من السم .

****

محاولة اغتيال اليهود للرسول ﷺ عن طريق السحر

كان لبيد بن الأعصم يهوديا ، وكان ساحرا خبيثا ، وقد حاول قتل النبى ﷺ عن طريق السحر ، فصنع سحرا للنبى ﷺ لهذا الهدف إلا أن اليهود لم يفلحوا فى ذلك ، ولكن هذا السحر قد ترك أثرا فى جسد النبى ﷺ إلى أن استخرج هذا السحر من مكانه فعوفى النبى ﷺ من مرضه .

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشئ وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال: ((يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استقتيته فيه أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى

والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل ؟ فقال: مطبوب قال: من طبه ؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فى أى شئ ؟ قال: فى مشط ومشاطه وجف طلع نخله ذكر ، قال: وأين هو ؟ قال: فى بئر ذروان)) ، فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه فجاء فقال: ((يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين)) قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته ؟ .

قال: ((قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا ، فأمر بها فدفنت))

والمشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط .

وفى رواية: قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا

فقال: ((يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفيته فيه ؟)) ثم ساق البخارى الحديث باللفظ السابق .

الشبهات التى أثيرت حول
هذا الحديث

طعن قوم قديماً وحديثاً فى هذا الحديث [1] بدعوى أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها ، لأنه إذا خيل إليه ﷺ أنه يفعل الأمر وهو لم يفعله

ومن المعاصرين الذين أنكروا الحديث – بهذه الشبهات– الشيخ محمد عبده فى تفسيره لجزء عم والأستاذ سيد قطب فى الظلال وغيرهما ممن تأثر بما قالا – وزعم الدكتور أحمد شلبى ، أستاذ التاريخ الإسلامى !! بأن حديث السحر هو من الإسرائيليات التى أدخلت فى البخارى ومسلم !! ، انظر له الجزء الثالث مما أسماء "بالمكتبة الإسلامية لكل الأعمار" ، ص٣٣–٣٤ .

، أمكن أن يخيل إليه أنه أوحى إليه وهو لم يوح إليه ، وأنه بلَّغ مما أوحى إليه وهو لم يبلغه فلا يكون فى فعله ولا قوله حجة، وقالوا لو قلنا بصحة الحديث لوافقنا المشركين فى دعواهم أن النبى ﷺ كان مسحورا كما حكى الله عنهم: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ . [الإسراء: ٤٧] ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ . [الفرقان: ٨]

والجواب عن هذه الشبهة: ان مراد المشركين مما قالوه - فى رسول الله ﷺ - ليس هو مراد المؤمنين بصحة الحديث لأن مراد المشركين من ذلك أن أمر النبوة كله سحر وأن ذلك ناشئ عن الشياطين ، استولوا عليه - بزعمهم - يلقون إليه القرآن ويأمرونه وينهونه فيصدقهم فى ذلك كله ظانا أنه يتلقى من الله وملائكته وإنما هو خيال مسحور وبناء عليه ليس علينا تصديقه ولا اتباعه .

ولا ريب أن الحالة التى عرضت للنبى ﷺ - فى وقعة السحر - كانت لفترة خاصة وليست التى زعمها المشركون ، ولا هى من قبيلها فى شئ من الأوصاف المذكورة ، فقد كانت الفترة التى سحر فيها رسول الله ﷺ ليس لها أى تعلق بتبليغ الوحى .

قال الإمام النووى رحمه الله -: **أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث .. فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع ، وهذا الذى ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك ، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل ، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث بسببها ولا كان مفضلا من أجلها وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ وقد يتخيل الإنسان مثل هذا فى المنام فلا يبعد تخيله فى اليقظة**

ولا حقيقة له ، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد . أهـ [1].

وقال ابن القيم - رحمه الله -: **والسحر الذى أصابه ﷺ كان مرضا من الأمراض عارضاً شفاه الله منه ، ولا نقص فى ذلك ولا عيب بوجه ما فإن المرض يجوز على الأنبياء ، وكذلك الإغماء فقد أغمى عليه ﷺ فى مرضه ، ووقع حتى انفكت قدمه. وجحش شقه [2] وهذا من البلاء الذى يزيده الله به رفعة فى درجاته ونيل كرامته وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به: من القتل والضرب والشتم والحبس**

"شرح النووى على صحيح مسلم" (١٤/١٧٤- ١٧٥) .

فى الحديث أنه ﷺ سقط عن فرس فجحش شقه ، أى انخدش وكان ذلك فى غزوة أحد ، حين تكأكأ عليه المشركون .

فليس ببدع أن يبتلى النبى ﷺ من بعض أعداءه بنوع من السحر ، كما ابتلى بالذى رماه فشجه وابتلى بالذى ألقى على ظهره السلا [1] وهو ساجد ، وغير ذلك فلا نقص عليهم، ولا عار فى ذلك ، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله .

وقد ثبت فى الصحيح عن أبي سعيد الخدرى: أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد أشتكيت ؟ فقال: ((نعم)) ، فقال: "باسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك" [2]

---

(1) السلا: ما يخرج من بطن الناقة ونحوها مع الولد مما كان من الرحم لحفظه .

(2) رواه مسلم (٢١٨٦) فى السلام ، باب: الطب والمرضى والرقى .

، فعوذه جبريل من شر كل نفس وعين حاسد ، لما اشتكى فدل هذا على أن هذا التعويذ مزيل لشكايته ﷺ وإلا فلا يعوذه من شئ وشكايته من غيره أهـ[1]**.**

وقال أيضا رحمه الله: **وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث متلقى بالقبول بينهم لا يختلفون فى صحته وقد اعتاض على كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الإنكار وقابلوه بالتكذيب وصنف بعضهم فيه مصنفا مفردا قال لأن النبى ﷺ لا يجوز أن يسحر فإنه يكون تصديقا لقول الكفار: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ وقالوا: وهذا كما قال فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ وقال قوم صالح له: ﴿إِنَّمَا أنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ وقال قوم شعيب له: ﴿إِنَّمَا أنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾**

---

(1) "التفسير القيم" ، الإمام ابن القيم (ص٥٦٧ – ٥٦٨) .

قالوا: فالأنبياء ولا يجوز عليهم أن يسحروا فإن ذلك ينافى حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين وهذا الذى قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم .

ثم أجاب ابن القيم عن قول المشركين: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ فقال: إن المسحور على بابه وهو من سحر حتى جن فقالوا: مسحور مثل مجنون زائل العقل لا يعقل ما يقول فإن المسحور الذى لا يتبع هو الذى فسد عقله بحيث يدرى ما يقول فهو كالمجنون ولهذا قالوا فيه (معلم مجنون) فأما من أصيب فى بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه ، وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من أتباعهم وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين ولهذا قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً﴾

مثلوك بالشاعر مرة والساحر أخرى والمجنون مرة والمسحور أخرى فضلوا عن جميع ذلك ضلال من يطلب فى تيهه وتحيره طريقا يسلطه فلا يقدر عليه فإنه أى طريق أخذها فهى طريق ضلال وحيرة فهو متحير فى أمره لا يهتدى سبيلا ولا يقدر على سلوكها فهكذا حال أعداء رسول الله ﷺ معه حتى ضربوا له أمثالا برأه الله منها وهو أبعد خلق الله منها وقد علم كل عاقل أنها كذب وافتراء وبهتان وأما قولكم: إن سحر الأنبياء ينافى حماية الله لهم فإنه سبحانه كما يحيمهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم

من النكال العاجل والعقوبة الآجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم فهذا من بعض حكمته تعالى فى ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم ، وله الحكمة البالغة والنعمة السابغة لا إله غيره ولا رب سواه[1] .

وقال الخطابى فى رده على نفاة وقوع السحر على الأنبياء :

قال: فأما ما زعموا من دخول الضرر فى الشرع بإثباته فليس كذلك لأن السحر إنما يعمل فى أبدانهم وهم بشر يجوز عليهم من العلل والأمراض ما يجوز على غيرهم وليس تأثير السحر فى أبدانهم بأكثر من القتل وتأثير السم وعوارض الأسقام فيهم ، وقد قتل زكريا وابنه ، وسم نبينا ﷺ بخيبر فأما أمر الدين فإنهم معصومون فيما بعثهم الله جل ذكره ، وأرصدهم له ، وهو جل ذكره حافظ لدينه ،حارس لوحيه أن يلحقه فساد أو تبديل ، وإنما كان خيل إليه أنه يفعل الشئ من أمر النساء خصوصا

انظر "بدع الفوائد" لابن القيم (٢/٢٢٣ – ٢٢٦) .

، وهذا من جملة ما تضمنه قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ فلا ضرر إذا يلحقه فيما لحقه من السحر على نبوته وشريعته والحمد لله على ذلك [1].

وقال الشنقيطى: **وأما وقوع المرض للنبى ﷺ بسبب السحر فلا يجر خللا لمنصب النبوة لأن المرض الذى لا نقص فيه فى الدنيا يقع للأنبياء ويزيد فى درجاتهم فى الآخرة عليهم الصلاة والسلام وحينئذ فإذا خيل له بسبب مرض السحر أنه يفعل شيئا من أمور الدنيا وهو لم يفعله ثم زال ذلك عنه بالكلية بسبب إطلاع الله تعالى له على مكان السحر ، وإخراجه إياه من محله ودفنه ، فلا نقص يلحق بالرسالة من هذا كله لأنه مرض كسائر الأمراض ، لا تسلط له على عقله**

نقلاً عن "شرح السنة" للبغوى (١٢/١٨٨) .

، بل هو خاص بظاهر جسده كبصره حيث صار يخيل إليه تارة فعل الشئ من ملامسة بعض أزواجه وهو لم يفعله ، وهذا فى زمن المرض لا يضر .

والعجيب ممن يظن هذا الذى وقع من المرض بسبب السحر لرسول الله ﷺ قادحا فى رسالته مع ما هو صريح فى القرآن فى قصة موسى مع سحرة فرعون حيث صار يخيل إليه من سحرهم أن عصيهم تسعى فثبته الله كما دل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى {٦٨} وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى {٦٩} فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾. [طه: ٦٨ - ٧٠] ، ولم يقل أحد من أهل العلم ولا من أهل الذكاء أن ما خيل لموسى عليه السلام أولا من سعى عصى السحرة قادح فى رسالته ، بل وقوع مثل هذا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يزيد قوة الإيمان بهم لكون الله تعالى ينصرهم على أعدائهم ويخرق لهم العادة

بالمعجزات الباهرة ويخذل السحرة والكفرة ويجعل العاقبة للمتقين كما هو بين فى آيات الكتاب المبين . (نقلا عن دراسات فى السيرة النبوية، محمد سرور نايف ص ٣١٨ ، ٣١٩)

وقال الدكتور البوطى :

السحر الذى أصيب به ﷺ إنما كان متسلطا على جسده وظواهر جوارحه كما هو معروف لا على عقله وقلبه واعتقاده فمعاناته من آثاره كمعاناته من آثار أى مرض من الأمراض التى يتعرض لها الجسم البشرى لأى كان ، ومعلوم أن عصمة الرسول ﷺ لا تستلزم سلامته من الأمراض والأعراض البشرية المختلفة .

على أن خبر سحره ﷺ إنما يدخل فى جملة الخوارق التى أكرم الله بها رسوله ﷺ فهو ليس مثار نقيصة له ، وإنما هو دليل جديد من أدلة إكرام الله له ، وحفظه إياه ، فقد دعا رسول الله ﷺ وظل يكثر من الدعاء حين شعر بهذه الأعراض فى جسمه إلى أن أطلعه الله

على المكيدة التى صنعها له لبيد بن الأعصم فى السر فذهب إلى حيث قد طوى الرجل أمشاطه وأسباب سحره فأبطل رسول الله ﷺ كل ذلك ، فأنت ترى أن هذا الحديث دليل على إكرام وعصمة من الله لرسوله أكثر من كونه دليل أذى قد أصابه فى جسمه أو أى جانب يتعلق ببشريته .

(فقه السيرة ص ٣٥٧ - ٣٥٨)

وقال الشيخ محمد حسين الذهبى: - **فى معرض رده على محمد عبده -: وهذا الحديث الذى يرده الأستاذ الإمام رواه البخارى وغيره من أصحاب الكتب الصحيحة ، وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوة فإن السحر الذى أصيب به عليه الصلاة والسلام كان من قبيل الأمراض التى تعرض للبدن بدون أن تؤثر على شئ من العقل ، وقد قالوا إن ما فعله لبيد بن الأعصم بالنبى ﷺ من السحر لا يعدو أن يكون نوعا من أنواع العقد عن النساء وهو الذى يسمونه (رباطا) فكان يخيل إليه أن عنده قدرة على إتيان إحدى نسائه فإذا ما هم بحاجته عجز عن ذلك أما السحر الذى نفى عنه ﷺ فمراد به الجنون وهومخل ولا شك بمقام النبوة وقد قالوا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ .** [الحجر: ٦]

(التفسير والمفسرون: ٥٤٦/٢)

****

شبهة أخرى والجواب عنها

قالوا إن حديث سحر الرسول ﷺ هو من قبيل الآحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد لأن عصمة النبى ﷺ من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون .

وجوابا على هذا نقول وبالله التوفيق :

أما زعمهم أن السحر قد أثر فى عقله ﷺ فقد سبق من كلام أهل العلم إبطال هذا الزعم بما لا مزيد عليه .

وأما قولهم: إن حديث الآحاد لا يؤخذ به فى باب العقائد !! فجوابنا على هذا القول من وجوه :

الوجه الأول: **إن هذا القول مبتدع محدث لا أصل له فى الشريعة الإسلامية الغراء وهو غريب عن هدى الكتاب وتوجيهات السنة ولم يعرفه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، ولم ينقل عن أحد منهم بل ولا خطر لهم على بال ومن المعلوم المقرر فى الدين الحنيف أن كل أمر مبتدع من أمور الدين باطل مردود لا يجوز قبوله بحال ، عملا بقول النبى ﷺ : ((من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) متفق عليه . وقوله ﷺ : ((إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار)) رواه أحمد وأصحاب السنن والبيهقى والجملة الأخيرة عند النسائى والبيهقى وإسناده صحيح .**

وإنما قال هذا القول جماعة من علماء الكلام وبعض من تأثر بهم من علماء الأصول من المتأخرين ، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ، ولا برهان وما هكذا شأن العقيدة وخاصة من يشترط لثبوتها القطعية فى الدلالة والثبوت .

الوجه الثانى: **أن هذا القول يتضمن عقيدة تستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبى ﷺ لمجرد كونها فى العقيدة ، وهذه العقيدة هى أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة ، وإذا كان الأمر كذلك عند هؤلاء المتكلمين وأتباعهم فنحن نخاطبهم بما يعتقدونهم ، فنقول لهم ، أين الدليل القاطع على صحة هذه العقيدة لديكم من آية أو حديث متواتر قطعى الثبوت قطعى الدلالة أيضا بحيث أنه لا يحتمل التأويل؟.**

وقد يحاول البعض الإجابة عن هذا السؤال ، فيستدل ببعض الآيات التى تنهى عن اتباع الظن ، كقوله تعالى فى حق المشركين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ . [النجم: ٢٨] ، ونحوها ، وجوابنا على ذلك من وجهين.

١- أن الذى أنزلت عليه هذه الآية وغيرها هو الذى أنزلت عليه الآيات الأخرى التى تأمر الأفراد والجماعات بنقل العلم ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ . [التوبة: ١٢٢] ، والطائفة تقع على الواحد فما فوقه فى اللغة / فأفادت الآية أن الطائفة تنذر قومها إذا رجعت إليهم ، والإنذار الإعلام بما يفيد العلم ، وهو يكون بتبليغ العقيدة وغيرها مما جاء به الشرع وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ . [الحجرات: ٦] ، وفى القراءة الأخرى ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾

وهذا يدل على الجزم والقطع بقبول خبر الواحد الثقة وأنه لا يحتاج إلى التثبت ، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبيت حتى يحصل العلم فدل هذا وأمثاله على أن خبر الواحد يفيد العلم ، فلا يجوز إذن استدلالهم بالآية المذكورة على ما زعموا لكى لا يضرب بها الآيتان الأخريتان ، بل يجب أن تفسر تفسيرا يتفق معهما كأن يقال: المراد بالظن فيها الظن المرجوح الذى لا يفيد علما ، بل هو قائم على الهوى والغرض المخالف للشرع ، ويوضح ذلك قوله تعالى فى آية أخرى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ . [النجم: ٢٣]

٢- لو كان هناك دليل قطعى على ان العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد كما يزعمون لصرح بذلك الصحابة ، لأنه لا يعقل أن ينكروا الدلالة القاطعة أو تخفى عليهم ، لما هم عليه من الفضل والتقوى وسعة العلم ،

فمخالفتهم فى ذلك أكبر دليل على أن هذا القول أو هذه العقيدة فى أحاديث الآحاد ظنية غير قطعية .

الوجه الثالث: **أن هذا القول مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة التى نحتج نحن وإياهم جميعا على وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى الأحكام الشرعية ، وذلك لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه سواء كان عقيدة أو حكما وقد سبق ذكر بعض الآيات الدالة على ذلك فى الوجه الثانى ، وقد استوعبها الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى كتابه (الرسالة) فليراجعها من شاء ، فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد تخصيص بدون مخصص وذلك باطل ، وما لزم منه باطل فهو باطل .**

الوجه الرابع: **أن القول المذكور ليس فقط لم يقل به الصحابة ؟ بل هو مخالف لما كانوا عليه رضى الله عنهم ، فإننا على يقين أنهم كانوا يجزمون بكل ما يحدث به أحدهم**

من حديث عن رسول الله ﷺ ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله ﷺ خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر بل لم يكونوا يعرفون هذه الفلسفة التى تسربت إلى بعض المسلمين بعدهم من التفريق بين العقائد والأحكام فى وجوب الأخذ فيها بحديث الآحاد ، بل كان أحدهم إذا روى لغيره حديثا فى الصفات مثلا تلقاه بالقبول ، واعتقد تلك الصفة على القطع واليقين ، كما اعتقد رؤية الرب وتكلمه ونداءه يوم القيامة بالصوت الذى يسمعه البعيد كما يسمعه القريب ، ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة ، من سمع هذه الأحاديث ممن حدث بها عن رسول الله ﷺ أو عن صاحب ، اعتقد ثبوت صفتها بمجرد سماعها من العدل الصادق ولم يرتب فيها، بل كانوا أعظم مبادرة إلى قبولها وتصديقها والجزم بمقتضاها وإثبات الصفات بها من المخبر لهم بها عن رسول الله ﷺ ومن له أدنى إلمام بالسنة والالتفات إليها يعلم ذلك .

الوجه الخامس: **قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وقال: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ وقال النبى ﷺ : ((بلغوا عنى)) متفق عليه ، وقال لأصحابه فى الجمع الأعظم يوم عرفة: ((أنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت)) رواه مسلم ومعلوم أن البلاغ هو الذى تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذى تقوم به حجة الله على العبد ، فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم ، وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه ، فتقوم الحجة على من بلغه ، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسننه ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو دون عدد التواتر وهذا من أبطل الباطل .**

الوجه السادس: **أننا نعلم يقينا أن النبى ﷺ كان يبعث أفرادا من الصحابة إلى مختلف البلاد ليعلموا الناس دينهم ، كما أرسل عليا ومعاذا وأبا موسى إلى اليمن فى نوبات مختلفة ونعلم يقينا أن أهم شئ فى الدين إنما هو العقيدة ، فهى أول شئ كان أولئك الرسل يدعون الناس إليه كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ: ((إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل)) وفى رواية: ((فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات)) الحديث متفق عليه ، واللفظ لمسلم فقد أمره ﷺ أن يبلغهم قبل كل شئ عقيدة التوحيد ، وأن يعرفهم بالله عز وجل وما يجب له وما ينزه عنه ، فإذا عرفوه تعالى بلغهم ما فرض الله عليهم وذلك ما فعله معاذ يقينا فهو دليل قاطع على أن العقيدة تثبت بخبر الواحد وتقوم به الحجة على الناس ،**

ولولا ذلك لما اكتفى رسول الله ﷺ بإرسال معاذ وحده وهذا بيّن ظاهر "والحمد لله" [1] **.**

****

شبهة أخرى والجواب عنها

هناك شبهة أخيرة أثارها الطاعنون في الحديث وهى قولهم: إن السحر من عمل الشياطين ، وصنيع النفوس الشريرة الخبيثة ، وهؤلاء لا يتسلطون إلا على من غفل عن الله ، ومن قصر في أعمال البر ، أما من لهج بذكر الله وعاذ بحماه كالأنبياء فليس للشيطان ولا للشريرين عليهم من سلطان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ . [الحجر: ٤٢]

وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة ، للعلامة محمد ناصر الدين الألبانى ، (ص٥ – ١١) .

وجواب على هذا نقول: إن سلطان الشيطان على الإنسان إنما يكون بالغواية وتزيين الباطل كما حكى رب العزة عن إبليس اللعين قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ . [ص: ٨٣] ، وقوله تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٣٩} إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ . [الحجر: ٣٩ ،

ولا شك أن تأثير السحر على رسول الله ﷺ لم يكن من غواية إبليس له ﷺ وإنما كان تأثيره بإرادة الله تعالى وقضائه كما قال عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ . [البقرة: ١٠٢] ، ولو أراد الله أن يبطل تأثير السحر لأبطله ، كما حكى رب العزة عن موسى أنه قال لسحرة فرعون: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ . [يونس: ٨١]

ولعل من حكمة الله تعالى فى وقوع هذه الأعراض المتنوعة بالأنبياء - وهم خير خلق الله - فوائد ترجع للعقيدة ،

فإن من علم بأن أنبياء الله تصيبهم هذه الأعراض لم يغل فيهم كما غلت اليهود والنصارى فى أنبيائهم وأحبارهم فإن من أظهر الضعف وأمارات العبودية والافتقار إلى الله تعالى ، ضعف الافتتان به وقل الغلو فيه ، والغلو فى العباد خطر على العقيدة ، خطر على الإيمان ولولاه ما رأيت هؤلاء الطائفين بالأضرحة ، ولما رأيت هذه الفتنة العظمى بالمشايخ والأولياء رضى الله عنهم ، التى كادت تكون عامة فى الأمم الإسلامية .

وهذا ما كان يخشى رسول الله ﷺ أن يقع فى أمته ، فحذر منه بقوله ﷺ : ((لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)) رواه البخارى من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وصية النبى ﷺ بإخراج اليهود من جزيرة العرب

أوصى النبى ﷺ أصحابه قبل موته بأن يخرجوا اليهود من الجزيرة العربية لأنهم لا عهد لهم ولا ذمة وهم الذين حاولوا قتل النبى ﷺ وقاموا بإشعال الحروب والفتن وبث الدسائس بين المسلمين .

من أجل ذلك عزم النبى ﷺ على إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها إلا من أعلن التوحيد لله عز وجل :

عن جابر رضى الله عنه قال: أخبرنى عمر بن الخطاب ، انه قد سمع رسول الله ﷺ يقول: ((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما)) . (رواه مسلم)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ أوصى بثلاث ، قال: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم)) . (متفق عليه)

وعن أبي عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ : ((أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب واعلموا أن شر الناس الذين اتخذوا قبورهم مساجد)) . (رواه أحمد وأبو يعلى بسند صحيح)

وقد قام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بإنفاذ وصية رسول الله ﷺ وأخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب .

وكان سبب إخراج عمر بن الخطاب لهم أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان له أرض بخيبر ، وذات يوم خرج ليتفقد ماله ، فاعتدى عليه اليهود وألقوا به من فوق أحد البيوت فكسروا يديه ورجليه ، وهذا هو دأب القوم دائما لا يكفون عن الشر لعنهم الله وأخزاهم .

****